تحيا دولة الحقراء ..!

ما أحلى انتصار الحقراء .. و ما أعظمه !! ما أجمل فجر الحقراء عندما ينبلج بدون إذن من أحد ! ما أروع شمس الحقراء عندما تبهر الدنيا و هي تصعد بلا توقف !! ما أسعدكم أيها الحقراء في ضحى انتصاركم تحت الشمس الباهرة ! . ما أمتع زقزقة العصافير في فجر ذلك اليوم العظيم !! ما أحلى أغاني تلك الضحى العسجدية !! ما أبهى شمس الحقراء الذهبية و هي تتضرمّ !.. ما أحلى هذا الحلم الخطير !. أن تتحقق الآمال أن تصبح الأماني حقيقة ...! أن يضحي الحلم واقعا أن تكون للحقراء دولة ..! و أن تغني لكم الحرية أغنيتها الخالدة ..! و أن تعزف الأوتار بلا قيتار و أن تترنم الأناشيد من تلقاء نفسها .! و أن تطير الدواب بأجنحة الفرح و تحلق ...! تحلق فوق وجه الهواء العليل ، ما أجمل ذلك اليوم .. يوم قيامة الحقراء .. يوم ينفخ في صور البعث فإذا هم أحياء يتعانقون و يضحكون .. يضحكون حتى البكاء .. بكاء الفرح .. تسيل الدموع من مآقيهم المجروحة المتورّمة من العذاب ، من قلة البكاء لأنه ممنوع عليهم أن يعبروا عن مآسيهم حتى و لو بالبكاء .. كان عليهم أن يستوعبوا الهوان تلو الهوان .. و أن يتجرعوا المرارة تلو المرارة .. دون أن يكون لهم الحق في البكاء ...!

لذلك تراكمت الدموع الساخنة بغزارة و غزارة حتى بردت ثم تجمدت فتكلست ، لذا احمرت أعينهم و تشققت ..

لكن في يوم البعث المشهود لجماهير الحقراء و قيام دولتهم الحلم تسخن العيون الجامدة .. و يجري سريعاً في عروقها الدم الذي كان ممنوعاً فتسخن و تسخن و إذا بالورم هو كتلة يابسة من ماء العيون .. تلك العيون الشاردة في ذلك اليوم تنهمر ببكاء الفرح كمطر الشتاء.اغسلوا وجوهكم الحالكة المرهقة بالماء الغالي بماء العيون .. بالدموع الربانية المقدسة . ما أطهر هذا الماء !! ما أقدس هذا السائل !! ما أسخنه ! ما أحرّه ! اركضوا أيها الحقراء إذا قامت دولتكم ، اقفزوا ... العبوا بالحبال ... اقطفوا الورد .. و اسحبوا في الهواء الطلق ، طيروا بأجنحة الفرح ، استحموا بعرقكم الذي يتصبّب من أجسامكم من فرط فرحتكم و نشاطكم غير المعهود .. اكتشفوا رشاقة أجسامكم .. انظروا لبعضكم بعضا ، كم هي جميلة ..!

كم هي رشيقة تلك الأجساد الملونة بالعذاب ..! كم ثمينة تلك الأسمال الممزقة و المرّتقة ...! من يملكها غيركم .. من يرتديها دون أن ينظر إليها غيركم .. ما أزكي تلك الرائحة التي تفوح من تلك الأسمال المشرطة .. كم هي منعشة رائحة أجساد الحقراء التي تنبعث من أجساد غير متخمة ...!

أجساد بلا أمعاء أجساد ملائكية تشرب الماء الطبيعي من الوديان و الغدران .. و تتقوت بالهواء في العراء مباشرة و ليس عبر أي تكييف أو تزييف..أجساد لا تأكل السحت .. و لا تشرب الغسلين . فلتعبق تلك الروائح الزكية السماء الدنيا فهي بلسم لجراحات طبقة الأوزون التي شرختها و روائح السلاطين الأقوياء .. و قوارير الأغنياء الأثرياء .. غنوا أيها الحقراء إذا قامت دولتكم .. ارفعوا أصواتكم المكبوتة.. سرحوا حناجركم المبحوحة .. حلوا ألسنتكم المعقودة .. افتحوا رؤوسكم المقفلة.. ترنموا بأناشيد النصر المبين .. ارفعوا أعلامكم خفاقة في السماء .. و لا تنسوا أن ترتقوها قبل رفعها لأنها مثقوبة .. و لا تنسوا أن تلونوها لأنها بلا لون .. أنتم أحرار ، اختاروا ما تشاؤون من ألوان الطيف و إن أردتم امزجوا ما شئتم من الألوان .. اكتبوا عليها ما تريدون من شعارات أنتم أهل لها ، كم تكون السماء جميلة يوم تخفق فيها أعلام الحقراء .. كم يمتد الأفق بلا تخوم أمام دولة الحقراء ...! كل الدنيا تتحول يومئذ إلى أذن صاغية عندما تتنامى إليها أصداء ذلك المهرجان العظيم .. كل الدنيا تشرئبُّ أعناقها و هي تتوق نحو مصدر ذلك الصوت الموسيقي الرنان .. الطيور كلها تشاركم الفرحة حتى البوم و الغربان تفرح بانتصار الحقراء .. كل المخلوقات البريئة المسكينة .. كل المخلوقات اللاجئة تبتهج .. و تمرح لانتصار الحقراء .. الطبيعة تشارك ... تضحك تحتضن تتحمل بسرور كل شطحاتكم في ذلك اليوم .. كل رقصاتكم ... كل ولولاتكم .. كل زغاريدكم ..

كم هو بهيج ذلك الموكب الإلهي ..! يا للهالة الرائعة لهودج عرسكم أيها الحقراء ...! و هو يتهادى على ظهر جمل القدر العظيم ينير الأفق البعيد ..! ينهزم أمامه الظلام ..

ينقشع من وهجه الغمام .. تتجلى الشمس ساطعة بعد أن يدبر ليلكم البهيم . يصفو الهواء .. تسمح الشمس بكل رضى للنجوم البعيدة أن تقترب بلا خوف .. و أن تتلألأ بالياقوت و المرجان ، و تدنوا من السماء الدنيا بلا تحفظ لتزيد الشمس انبهارا .. و تزيد العرس أضواء .. و تضيف بسخاء ألوانا جديدة غير معهودة لألوان الطيف .. فيصبح لأول مرة السماء عدة أطياف ، و تتضاعف الألوان سبعا .. و سبعات دون خبل .. يفرح كل شيء و يفرغ جعبته حبورا دون ملل ، كيف لا ، و هو يوم انتصار الحقراء .. و أن تكن لهم دولة مع الشمس و فوق الأرض .. الملائكة المسومة ترتدف صفوفا صفوفا بلا نظام .. تبارك اليوم المجيد .. الثقلان يباركان .. تصمت البحار تحية للحقراء .. تضطرب الأمواج تصفيقا للحقراء .. تسكن الرياح إفساحا لموكب انتصار الحقراء .. تهب الزوابع رقصا للحقراء .. يزمجر الرعد تسبيحا للإله الذي نصر الحقراء .. يجرد البرق سيفه من غمده تحية للحقراء.. تتدلى الشموس من عليائها بالملايين لتشعل بنارها الباردة ملايين و ملايين الشموع ..

شموع انتصار الحقراء فتتحول الأرض كلها إلى قمر يتسق بملايين القناديل في مشكاتها الزيتية المباركة و ليس لها انطفاء .

لا أريدكم أن تكونوا سلاطين أيها الحقراء ، لأن ذلك يسيء إليكم ، و يصمكم بوصمة العملاء .. و لا أريد لكم أن تكونوا أثرياء فإن ذلك يلحق بكم الضرر و يصيبكم بداء الأغنياء الذي ليس له دواء .. و لا أريدكم أن تكونوا شيوخا و فقهاء لأن ذلك يصمكم بوصمة دجل الجهلاء .. أنتم لن تتجبروا فلغيركم الخيلاء .. و أنتم لن تتكبروا فللشياطين الكبرياء .. ليس لدولة الحقراء حدود فهي ليست كغيرها من الدول .. فالحدود قيود .. و ليس للحقراء قيود .. و للحدود مشاكل و تهاريب لا يليق بالحقراء مشاكسة الغير .. و على الحدود حروب و هروب . و الحقراء لا يحاربون و لا يهربون .. فلن يكون لكم خميس و لا تسديس فالمسدسات و الغدارات للقتلة و الغدّارين و الجند الفاتحين المعتدين .. و الحقراء لا يعتدون .. أنهم مسالمون طيبون .. لا يحتاجون على شرطة و حراس .. و لا إلى رواصد و أجراس ، تلك أدوات المرتابين .. و وسائل المتتهيمنين .. فالحقراء لهم كوامن رائعة و نفيسة بيد أنها حبيسة . فرغائبهم نعيمية فردوسية إذا أتيح لها الانتشار لتضوَع الكون عطرا و مسكا .. إن نَيات الحقراء شفاء من كل داء ..

فلا عدوان في دولة الحقراء ، هذه الروح الشريرة خالية منها أجسادهم الطاهرة .. لا حسد و لا غلّ و لا طمع و لا جشع فلا حاجة لهم بالشرطة و الجند منهم الأمان و السكينة و الاطمئنان .. أنتم طاهرون فلا يمسكم عالم الدنس و الأرجاس .. و أنتم مجردون من اللّبس و الأدناس .. أنتم طهارة الخلق و الناس .. أيها الحقراء لكم المجد و البقاء ، و البقاء للأصلح و الأجمل و الأنفع .. و أنتم أصلح من أي صالح من الآخرين .. و أنتم أجمل من الجمال ، لأنكم ملايين و ملايين و الجمال وحيد و حزين .. و أنتم أنفع و لستم بالنفعيين ، فلا تهتموا بما يمترون فإن كيدهم في تضليل .. و لا تقفوا عليهم فمروّا على لغوهم كراما مبتسمين .. إذا ورثتم الأرض أيها الحقراء فلن تكون كهذه لأنها الآن أرض المترفين و المتحكمين و الدجالين و المنافقين و الكذابين ، أرض الفساد التي لا تليق إلا بالمفسدين .. و هذا هو السرّ الحقيقي لاحتقاركم فيها لأنكم لستم منها فأنتم لستم أغنياء و لهذا احتقروكم .. و أنتم لستم منافقين كذا بين لهذا احتقروكم . إن الأرض الفاسدة لا تقام فوقها إلا دولة الفاسدين .

و الذي هو مثلكم لا مكانة له فيها .. لا لغة مشتركة له مع أهلها ، مثلكم يرى ما لا يرون... و يمشي نحو ما لا يمشون ... و يتكلم ما لا يتكلمون .. و يأكل ما لا يأكلون و يشرب مالا يشربون .. و يلبس ما لا يلبسون و ينام فيما لا ينامون .. و يحلم ما لا يحلمون ، لهذا سموكم الحقراء .. لأنكم فقراء ..

لأنكم مساكين و سذج و بلهاء .. لأنكم لا تجيدون الرقص المؤجر و التمثيل و الرياء ، و لأنهم أجبروكم ـ لكي تبقوا على قيد الحياة ـ على أن ترقصوا بلا حياء .. و أن تغنوا كالببغاء .. و أن تمثلوا دور الشياطين في ثياب الأتقياء من هو فاعل الحقارة هو الذي يحقر غيره من أمثالكم .. فاعل الحقارة هو الذي نظر إليكم باحتقار .. فاعل الحقارة هو الذي تكلم عنكم باحتقار .. الحقارة خلعت عليكم من القائمين بها ...

الحقارة حجر قذفوكم به .. سهم رموكم به ، وزر حملوكم إياه .. ثوب ألبسكموه من يحمل هذه الأشياء .. من يحمل حجر الحقارة ، و سهم الحقارة ، ووزر الحقارة ، و ثوب الحقارة.. الحامل لها هو المثقل بالحقارة ، أما أنتم فما ذنبكم إذا قذفكم من يحمل الحقارة بحجر منها .. و رماكم من يحمل الحقارة بسهم منها ، و حّملكم من يحمل أوزار الحقارة بوزر منها .. و ألبسكم من عليه أثواب الحقارة بثوب منها .. أنتم أبرياء أنتم مفعول به .. و مفعول فيه .. و مفعول عليه .. و أنتم مضاف إليه .. مكسورون و لا دخل لكم في الكسر .. المسؤول عن ذلك المضاف الذي حتّم كسركم لأنكم مضاف إليه .... و المضاف إليه لابد من أن يكون مجرورا لا جارًّا .. فالمسئول الجارّ و ليس المجرور .. فأنتم من وقع عليه فعل الفاعل .. و المسئول الفاعل و ليس المفعول به .. أنتم فريسة لأفعال متعدية ، رمي .. و ألبس و أعطى و حمّل .. أنتم ضحية التطاول و التعدي من قبل فاعلين بأفعال متعدية تصلكم و تصل ما وراءكم .

فالحقراء الحقيقيون هم أولئك الفاعلون للحقارة الحاملون لحجرها و سهامها .. و أثوابها .. ووزرها . لن تكونوا مثلهم إطلاقاً أيها الحقراء .. لن تحتقروا غيركم بكل تأكيد ، لأن تجربتكم مرير وشاقة و مؤلمة و غنية بالدروس و العظة ..فلن تسقطوا مأساتكم على أحد.. لن تعذبوا ضميركم ..لن تقهروا غيركم ، لأنكم أنتم ضحية قهر الآخرين لكم ... لن تتلذذوا بممارسة تحقير الآخرين لأنكم تجرعتم علقم التحقير الذي مورس ضدكم .. و أنتم أيها الحقراء الأعزاء تعلمون أكثر من أي آخر أن صفات الدلالة اللفظية خارجية و ليست داخلية .. واردة و ليست صادرة موضوعية و ليست ذاتية .. أنتم أيها الحقراء معلمون .. و مفسرون وثقات .. أنتم الحكماء و أرباب التجربة التاريخية العظيمة فتعلمون أن الذين وصموكم بالحقارة هم الذين وصفوا الماء بأنه أزرق و تلك جهالة حقيقية دعت إلى الضحك.. و الجهالة كما تعلمون أيضا هي التي دعته بالحلو .. أو المالح أو المرّ .. و أنتم تفهمون أن ليس للماء في ذاته طعم و لا لون .. فالماء بريء من تلك النعوت و الصفات مثلما أنتم أبرياء من وصف الآخرين لكم بأنكم حقراء ! لهذا يكون اليوم عظيماً و خالدا يوم تقوم لكم دولة لأنه يوم إحقاق الحق .. و إبطال الباطل .. يوم تتجرد الحقائق من الأغلفة .. يوم تتعرى جواهر الذوات .. تبين

الأجسام غير أردية موشّاة لتتجلى المساواة الطبيعية بدون تدخلات و تكييفات .. يوم تسقط كافة التبريرات المزيفة التي كانت لمصلحة حجتهم ضدكم بأنكم حقا حقراء .. يوم لن تكونوا محتاجين إلى مجاراة وضعية الاستلاب .. و الرضوخ لها بحكم سيطرة الواقع المادي على حياتكم .. و الذي أجبركم على قبول موقع الحقارة .. و الاجتهاد القاسي لاستيعاب متطلبات التحقير الفظة .. عندما كنتم تنقادون بلا تبرم و تشعرون محتقريكم بالرضى و سهولة الانقياد ليصل بكم سريعا إلى الحضيض ، لأنكم تحسّون بفطرتكم الإلهية التي هي الجوهر الذاتي الذي لا يمسّ ، بأنهم يسوقونكم إليه و هو مبتغاهم و لهذا شجعتم محتقريكم بكل ذكاء على أنكم تحبون الانحطاط فتمادوا في دفعكم بلا تريث نحوه .. كنتم تبحثون عن حل عاجل لحالكم المزري .. و ترون في التسليم لمحتقريكم بلا أدنى تردد حلاً على أي حال .. و تبالغون في ربط مصيركم بهم باعتبارهم إحدى الصور المزينة لها .. و إحدى الرذائل المترتبة على تصرفاتهم .. و أحد الذنوب الناجمة عن سلوكهم .. و أحد الردفاء لأحمالهم و كنتم ترتضون التحقير لأن مقاومته ليست من الأمور التي تسهل حياتكم معهم .

الموت للعاجزين .. حتى الثورة .

أيها العاجزون المساكين ما أبعدكم عن الحقيقة المرة .! يحسدونكم أيها العاجزون .. لأنكم تسلكون أبسط الطرق في الحياة و لا تكلفون أنفسكم أية مشقة .. و لستم في حاجة إلى تأويل أي شيء من أموركم .. و لا إلى تفسيره .. كل شيء واضح في حياتكم أيها العاجزون .. لا غموض .. و لا إبهام تتجنبون مسئولية التفكير و ما يترتب عليه من تدريب .. و لا تحيدون عن طريقتكم المعتادة و تصرفاتكم المحدودة .. و تتنازلون بسهولة عن أي مهمة فيها صعوبة .. ترحمون أجسادكم و تريحون ضمائركم .. و تخدعون أنفسكم بأساليب مريحة للغاية .. و تستخفون بأي مناكفة تتعلق بما تفعلون و تؤمنون .. و موقفكم أيها العاجزون ثابت لا يتبدل من حيث الاتجاه .. فهو يتعاطى سلبا مع أي وقفة غير معهودة .. فلا تتقبلون المناقشة فيما تؤمنون ، تلك نعمة يحسدكم عليها الحاسدون المتعبون العارفون لحقيقة ما تفعلون .

و العجيب حقا في حياتكم هو أنكم تفشلون فيما تقدمون عليه و لا تتعظون .. ليس للتجارب أي تأثير في حياتكم .. مهما فشلت أعمالكم .. فلا تغيروها .. و مهما كذبت معتقداتكم فلا تقبلوا إثبات ذلك .. و لكم ميزة في عدم الاعتراف بالحقائق مهما كانت دامغة . ومن الثابت أنكم ترفضون النتائج التي لا تتفق و ميولكم .. فاتكالياتكم مسلمات غير مبرهن عليها طبعا.و كل الحقائق و الأكاذيب أيضا تكيفونها حسب تلك المسلم بها مسبقا من لدنكم . فعندكم اعتقاد مسبق على سبيل المثال بأن ثمة سحرة و أرواحا شريرة تسرق القمر ، و قد تتمادى و تصل إلى الشمس و تلك جسارة خطرة من طرف تلك الغيبيات .. و إذا أجريت أمامكم تجارب على أن ظل الأرض هو الذي يقع أحياناً على القمر فيظلم منها أو ظل القمر يقع على الشمس فيكسفها لا تصدقون ذلك .. لأن هذا غير مرغوب منكم . فأنتم أيها العاجزون مسالمون جدا لن يتغير على أيديكم أي شيء، فحياتكم هادئة رتيبة اتكالية حتى النهاية ، و تسلكون أيسر السبل حتى و لو أدت إلى الهلاك .. و دنياكم التي يخيم عليها العجز كئيبة رتيبة المعاش و لكنكم قادرون برغم عدم قدرتكم على تكييفها بما يتفق و عجزكم عن تغيرها .. و تسقطون الدروس الصعبة من الماضي .. و تأخذون السهل السطحي الذي لا يحتاج إلى جهد .. و تتبنون خرافات الماضي و تتعمدون إبعاد غيرها مادامت لا تنسجم مع وتيرة حياتكم السهلة الاتكالية حتى و إن كانت حقائق .. فأنتم أيها العاجزون لا تبحثون عن الحقيقة هذا ليس همكم بل تلجؤون إلى ما يناسب حالة العجز فحسب .

أنتم أيها العاجزون شجعتم باعة اللاشيء حتى نصبوا أسواقا و أقاموا مقابر يبيعون فيها الهواء المعلب الذي عندما تفتحون علبته يطير الهواء في الهواء ، و تفسرون ذلك بأنه لهذا الغرض بيع و ابتيع .. و شجعتم باعة التراب المطبوخ .. و ناقشى الرمل و ضاربي الودع و كاتبي التمائم و نافخي النار للكى و الدف و الرار . أيها العاجزون الطالبون النجدة من الموتى عندما يعجز الأحياء منكم عن النجدة .. أنتم الذين تحققون أمانيكم أثناء النوم على صورة أضغاث أحلام عندما تعجزون عن تحقيقها في اليقظة ، و عندما تفشلون في حياتكم تؤجلون النجاح إلى ما بعد مماتكم .. و إذا غلبتم على أمركم بفعل فاعل حتى لا تحملوا أنفسكم مشقة مقاومته .. و إذا قصرتم في حق أنفسكم من لدنكم فسّرتم هذا بأنه خارج عن إرداتكم ، إنه بسبب فاعل خارجي حتى تحملوا المسئولية لذاك الفاعل الملعون .. و إذا فشلتم لسبب لا تريدونه خارجيا و لا ذاتيا قلتم إنه الحظ .

و برغم أن دنيا العاجزين لا معنى لها و لا فاعلية .. و هي باطلة و تافهة .. و دونية . و برغم أن العاجزين لا تأثير إيجابي لهم في الحياة .. و لا يقدمون و لا يؤخرون و أنهم اتكاليون طفيليون و غير مسئولين و لا جدية في دنياهم فهي هزيلة قشية .. و فارغة و سطحية ، و العاجز مخلوق تبريري و معذري و هين و العاجزون لا يخلقون شيئا و لا يغيرون و مع هذا فإن دنيا العاجزين أغنى الدُّنى و أخصبها و أملؤها و أعمقها أدبيا . فدنيا العاجزين لها الفضل و ليس لغيرها في تكوين تراكمات معنوية في الأدب و الأسطورة و الميثالوجيا و الميتافيزيقا خاصة ، فلولاها لكان العالم ماديا جافا حسابيا .. ضاربا في مضروب و طارحا من مطروح و قاسما تحت مقسوم و جامعا على مجموع و هندسيا مقعرا و محدبا و حادا و حرجا و معكوسا و دائريا و متقابلا و متوازيا غير متلاق أبدا .لولا دنيا العاجزين لكان العالم ضاربا أخماساً في أسداس و متصلا متكهربا و مشدودا متوترا ، لولا دنيا العاجزون لكانت حياة البشر عبارة عن نشاط مادي ، مسجونة بين الثبات و الميكانيكا كشيء محتوم و قهري لا مفر من جحيمه و لكان قاموس العالم مفردات فلزية حبيسة المصطلحات المادية من الذرات و الذبذبات و التأيونات و الطرد و الجذب و التوازن و الانعدام .

لكن الجميل كل الجميل للعاجزين الذين أغرقوا الحياة في بحر من الأسطورة و رسموا الصور غير المرئية لما يشاؤون ، و فسروا عالم القهر و المادة و التقدم بما يحلو لهم غير آبهين و لا مستحين من العالم التجريبي الفظيع .. لقد زودوا العالم بقاموسهم العجيب المليء بالمفردات الهلامية و فتحوا له آفاقا لا تخوم لها .. و أبدعوا في الخيال و سموا به حتى ارتادوا اللامنتهى حيث الإعجاز المنطقي و اللاإرادي .. ثم يقومون بعملية نكوص ارتدادية إلى الماضي السحيق غير المدون و غير المعلوم و لا المفهوم فيبعثونه بعثاً أخّاذا يفسرون به الوجود اليقيني تفسيرا أسطوريا يجد له دلالات واهية في

المعطيات المادية لهذا الوجود. ومن هذه النقطة الحرجة ينجح العاجزون في تفجير ثورة جدلية بلا جدوى .. فتسود نظرية الخرافة و يهرب المنطق من الحلبة و يصير العلم سفيها و مقزما .. أمام الهالة الزخرفية الشائقة و القزحية يجد كل شيء تفسيرا له في المجازات العجزية التي ليسب جادة و بالتالي ليست مكترثة بالدفوعات العلمية .. و هكذا تستولي روح العاجزين على أفئدة الدهماء فيحيدون عن مواقع النصب و المغالبة و الجد إلى مواقع التسليم السهل بمنطق العاجزين الذي لا يعترف بقانون الذاتية ..

و من هنا تجد الهزائم مبررها في ثقافة العاجزين ، و تجد النكسات تفسيرها في الحظ ، و يجد التقصير مبرره في اللاإرادية .. و للانحطاط أسبابه الضرورية و يصبح المسئول غير موجود فهو مفهوم بلا ما صدق (كما يقول علم التفسير) و تكون الماورائية السالفة أو المستقبلية مخزنا لا ينفذ من التبعات التي ترمي للتملص من المساءلة .

و تجلس دنيا العاجزين القرفصاء على هشيم حياة الوهم ، قانونها التنصل و الإسقاط و الرضوخ لكل ألوان الاستلاب .. و التخلص من أعباء الحيثية المعنوية و الجاهزية لاستيعاب الامتهان و تبريره و القابلية للتنكر التراثي و المستقبلي هروبا من المواجهة .. و ينحاز العاجزون دائما إلى مصدر عجزهم فيتسامحون مع لاطمي خدودهم و قفيهم ، و يخلقون مصوغة مرْضية مرَضيا لذلك .. و يدينون الفرص و الظروف و الحظوظ و الغيب و الأجداد و لا تخلوا صحائفهم يوميا من الخطوط المتقاطعة و مربعات البروج و قوائم اليانصيب .. و ترهف حاسة التطير و تتوطن محاولات التبرير و إجلاء الغموض .. و قهر القلق ، و خلق التوازن الكاذب باطلاع الفأل و تصديق برج الميلاد و ضرب الودع و التافزة و الشابرة ، و تفسير الأحلام و التوسل بالطواطم و الأوثان و السلف ، و التعويض بالغلو في اضطهاد المساكين من قبل العاجزين ، فيهمل عالم الطفولة و الأمومة ، و يقهر إسقاطا تلقائيا كبحث عن التوزان المنهار .. و يصبح للهو معنى للانصراف و التغيب غير الممل ، و تتسطح العمليات الثقافية و تحل رواية و تبادل (النكت) محل الإبداع و النقد الأدبي .. و يكون اللهو قضية تحل محل القضية الحقيقية ، و يصطف اللهو مع العبث مع الحاجات غير اللازمة إلى جانب العقم و الاتكال و التنافر الاجتماعي ، و الانهيار الخلقي و الغلو في الأخلاق .. كلها أمراض العاجزين تجد تفسيرها في حالة العجز التي يعيشونها .

الثورة : عندما يصل توغل شعور العجز إلى كل جزء من حياة العاجزين .. و يفقد العاجزون الشعور بالعجز و بكل ما يترتب عليه من انحطاط .. و عندما يصبح التبخيس و الهوان و النذالة أمورا غير مستفزة تكون حياة العاجزين قد وصلت درجة الصفر التي هي مستوى الاستقرار في التفاهة

و الهامشية ، عندها يبدأ العد التصاعدي في تراكم الدونية .. و يبدأ الشعور بتراكمها .. و لم يعد أمام العاجزين للثورة على أنفسهم إلا إتاحة فرص المقارنة مع الغير النقيض .. إما بتحريض محرض أو بالمشاهدة .. و تكون جيدة للغاية إذا طرأ على مصدر العجز خلل يشجع على التجاسر ، و إذا تتابعت ثغرات الخلل و تمّ استثمارها و تضخيمها بالدعاية و التحريض فإن الروح المعنوية الميتة لدى العاجزين تدب فيها الحياة . و أول ما تتجه الثورة في هذه الحالة إلى الذات .. و يبدأ العاجز في تعنيف نفسه و يشتد في امتهانها و إهانتها حتى تصبح هي الضحية الجاهزة للفداء .. و يبدأ في تقديم الأنفس التي تمكن العاجزون من ترخيصها قرابين على مذبحة العجز .. و هذا تفسير عمليات الانتحار التي يكثر وقوعها في دنيا العاجزين لأتفه الأسباب و أبسطها ...و يدخل العاجزون في مرحلة التيه بحلقات من الأعمال الفردية غير متصلة و لاغائية . و عادة تصطحب هذه الحالة التدميرية للذات مع بوادر سادية ضد الغير فتجد الفداء من أجل بقرة .. و الانتحار من كلمة .. و القتل من أجل شجرة الطلاق من أجل وجبة .. و تشتد الحاجة الوهمية من أجل ترسيم الحدود بين العاجزين على كل المستويات من أوتاد الخيام إلى ماء البئر .. إلى مساحة لعب الأطفال إلى المرور و الالتفات و درجة الصوت و وقع الأقدام ، و يحاكي كل عاجز مصدر عجزه حيال العاجزين الآخرين فيمارس كل ألوان التتفيه و العدوانية ضدهم ليخدع نفسه بأنه ليس مثلهم و يكون هذا ديدان حياة العاجزين على أي مستوى سواء أكانوا أفراد أم جماعات أم دولا .. و قد تستمر حياة العاجزين في هذا الحالة دائما ما دام الظرف موجودا .. و لكن إذا قيض للعاجزين عامل يساعد على الخلاص فيمكن تحريك وضعهم من الحلقة المفرغة إلى السير في خط ذي اتجاه غير دوراني ، و يمكن أن يتحول أسلوب العاجزين المخزي إلى ثورة عارمة ضد مصدر العجز ، و تكون عارمة لأن سبب العجز يعيش هو أيضا في حالة الشعور بالكراهية المزمنة و المبررة مزاجيا ضد العاجزين .. و ليس في حالة نفسية تجعله يستوعب ردة الفعل بل تكون مفاجأة له و مستفزة .. و لذا تكون المواجهة غاضبة للغاية و غير مسئولة من الطرفين .. و هكذا تندلع الثورة . فالموت للعاجزين حتى الثورة .

هل حقا ماتت الشيوعية ؟

العلم الأحمر الذي أنزل بسهولة بيد جنّدي واحد من حراس الكرملين ـ هذا العلم سقطت من أجله الآلاف المؤلفة من الشهداء في معارك حامية بالرصاص ، و معارك باردة بالتعذيب و التجويع و التنكيل في غياهب السجون و الزنزانات الانفرادية في جميع أنحاء العالم .. و تم صبغه باللون الأحمر بدم عشرة ملايين من الروس . و ناضل تحته من أجل أن يرفع على الكرة الأرضية كلها الملايين من الشعوب التي أعلنت أنها شيوعية . كيف حدث هذا و يا ترى هذه آخر المذهلات أم أولها ؟ فهل ستشاهد زلازل تاريخية أخرى تهدم البديهيّات و المسلّمات ؟ على سبيل المثال هل سنشاهد المسيحية و انهيارها بعد أن تفطن الناس و يتأكد لهم أنهم خدعوا عندما قيل لهم أن المسيح صلب نفسه ليغفر ذنوب تابعيه مهما فعلوا ، و استنادا إلى هذا قتلت الدول المسيحية الملايين من شعوب العالم اعتمادا على أن المسيح غفر ذلك مقدما .

قد تفطن الناس في العالم المسيحي و تعرف أن كون المسيح صلب نفسه من أجلهم هو أكذوبة تاريخية . و تنفضّ الناس عن المسيحية بل و تزحف على الكنائس لتهدمها ، و تكسر الصلبان و تسحل القساوسة و الرهبان ، و يعلن أن عيسى ما هو إلا نبي إسرائيلي أرسل لبني إسرائيل لتصحيح شريعة موسى لا أكثر و لا أقل .. و لأن اليهود رفضوا أي مساس بشريعتهم التي تعودوا عليها ناصبوا عيسى العداء .. ثم طاردوه و صلبوه إن لم يكون قد شبّه لهم . أو أن الله توفاه و رفعه إليه (إني متوفيك و رافعك إليّ) .

و هل سنشاهد أمريكا و هي توسط الليبيين بما لديهم من علاقة روحية و تأثير أدبي على إخوتهم الإيرانيين لأن يقوم الإيرانيون بالتوسط لدى إخوتهم الألمان لكونهم من جنس واحد و هو الجنس الآري بأن ينظر الألمان بعين العطف إلى الأمريكيين المساكين ، و يغفروا لهم خطأهم التاريخي الشهير الذي ارتكبوه في حق الألمان في الحرب العالمية الثانية على الأقل ، و أن أمريكا على استعداد إذا قبلت ألمانيا توبتها لأن تعتذر على إنزال النورمندي ، و إنزال ايزنهاور على شمال افريقيا و أن يعتبروه كأنه لم يكن ، و أن أمريكا كانت مخطئة و مذنبة في حق الألمان و تلك غلطة تاريخية أرتكبها روزفلت ، و قد تبعث أمريكا وفدا من السود و وفدا من الهنود الحمر لأنها تعرف مدى عطف الليبيين عليهم أيام الغزو الامبريالي الغابر على ليبيا . و لكي تدغدغ أمريكا عواطف

الليبيين ويساعدوها قالت للوفد. إن أمريكا تطلب أكبر كمية من الكتاب الأخضر و من القرآن إذا أمكن باللغة الانجليزية .

و نرى كيف يفرض الرايخ الرابع شروطه على أمريكا و على بريطانيا ، و أول شرط تدمير أسلحتهم تحت إشراف ألماني .. و تعويض ألمانيا تعويضا باهظا يجعلها على حافة الإفلاس ، و إقامة لجنة ألمانية في أمريكا و الأخرى في بريطانيا بصورة دائمة للإشراف على تأكيد المهمة .

و نرى فرنسا تتمتع باستقلال صوري في ظل الرايخ الرابع ، و أن تنقل حقيبة الشفرة النووية الفرنسية إلى برلين ، إلا أن ألمانيا ترفض الوساطات و تفرض إتاوات جائرة على أمريكا و بريطانيا تعويضا لما فعلوه في الشعب الألماني . و تصبح الاشتراكية الوطنية هي المذهب السائد من بولندا إلى فرنسا .

و نرى الإسرائيليين يعلنون قبولهم بأي حل ودي يرضاه العرب ، و أول الحلول قبولهم بالتوزع في البلاد العربية كأهل ذمة ، و يجعلون خبرتهم في خدمة العرب لأن ذلك سيكون أفضل مليون مرة من البقاء في فلسطين كدولة يهودية على مرمى نظر الرايخ الرابع المخيف ، و بدون أمريكا ، و سيطلبون من ليبيا القيام بواجبها الأئمي و المساعدة على تطبيق هذا الحل ، لأن ليبيا إذا قبلت به لن يكون هناك من يزايد عليها .

ذلك يحصل حتما لأن معطياته متوفرة و نتائجه حتمية ، لقد أكد العلماء الأمريكيون أنفسهم أن أمريكا ستتصحر من جهة و تتجلّد من جهة أخرى ، و ثبت أن بداية أنهيار الاتحاد السوفييتي العظيم هي بسبب العوامل الطبيعية ، و قد بدأت الطبيعة تفعل فعلها في أمريكا أيضا . كما أن الأجناس المكونة لأمريكا ستتقاتل مع بعضها بعضا كما يحدث في لبنان ، و ثبت أيضا أن صراع القوميات (العامل الاجتماعي) سبب آخر من أسباب نهاية الاتحاد السوفييتي ، أما رأس المال فسوف يهرب إلى بقاع العالم الأربع و يهجر أمريكا دون شك،و لكن لنا عودة لمفتاح المذهلات ، كيف تورط العالم في الماركسية اللينينية .؟

لخّص ماركس تاريخ البشرية كالآتي : شيوعية بدائية هي الأصل و هذا صحيح ـ ثم انقسم الإنسان إلى جماعات ... جماعات ... و كونت كل مجموعة تشاركية اجتماعية ذات ملكية مشاعة للأرض و ما عليها بما فيها الزواج ، الأمر الذي كون الأجناس البشرية ذات الدم الواحد و هذا تاريخيا صحيح أيضا ، ثم استقل أفراد الجماعة بملكيتهم الخاصة و كون المتفوقون ملكية خاصة بهم استلزمت عبيدا من الضعفاء و المتخلفين و غير المحظوظين ، و تكون مجتمع الرقيق الذي تحول بجهدهم إلى مجتمع الإقطاع ، ثم قامت المدن و حلت البرجعاجية محل الإقطاع .. ثم تطورت المدن إلى

الرأسمالية و انقسم المجتمع إلى عمال و أرباب عمل . و قال بضرورة تحريض العمال على الثورة ليستولوا على الملكية . و قامت ثورة في روسيا القيصرية و سميت بالاتحاد السوفيتي . و قال استالين : لحماية الثورة لابد من أجهزة قمع سميت بالمخابرات ، و الأمن الخارجي ، و الأمن القومي ، و البوليس السري و الخدمة السرية ، و أمن الثورة و المحاكم الثورية .. و المحاكم الاستثنائية و المحاكم العسكرية و السجن السياسي ، هذا في الجانب الأمني ، أما الجانب الاقتصادي فقال بالمصادرة و التأميم و الحراسة ثم الملكية العامة ملكية الدولة .. و الملكية الجماعية ، و أخيرا الملكية التعاونية ، ثم ألغى عقائديا قانون العرض و الطلب .. و ألغيت المنافسة و ظهرت التسعيرة الجبرية و السلع المدعومة ، و تم تأسيس الحزب الشيوعي ليقود الدولة الاشتراكية إلى الشيوعية . و تولى قيادة الحزب في الاتحاد السوفيتي مجموعة عمالقة من لينين المؤسس إلى استالين الرجل الحديدي إلى خروتشوف و بريجيف .. ثم جورباتشوف الذي سلّم بالأمس العلم الأحمر إلى جندي ليطويه ربما .. ربما على الأبد .

لم يحصل هذا في الاتحاد السوفيتي فقط بل انتشر في كل العالم تقريبا حتى تكون في أمريكا نفسها و بريطانيا أيضا حزب شيوعي .. و قامت دول شيوعية في النصف الغربي من الكرة الأرضية .

و أصبحت موضة تقليعة كل ثورة أو انقلاب حتى و لو كان ضد الاشتراكية لكنه يستفيد بطرازها من حزب حديدي و بوليس سري ، و سجن سياسي ، و محاكم استثائية و مصادرة للحريات ، و أجهزة أمنية خارجية و داخلية .. قومية و وطنية حتى أمريكا تأثرت بذلك ، و طورت وكالة المخابرات المركزية ، و أظهرتها خارج حدودها و ارتكبت فظائع أشنع من فظائع لجنة الأمن الخارجي السوفيتية التي أصبحت فيما بعد كي جي بي .. انقلابات ... اغتيالات ... تزوير عملة ... تزوير جوازات و هويات .. شراء العملاء من أتفه إنسان إلى رئيس أي دولة ، و نكاية بالمانيا أقيمت لليهودة دولة في فلسطين بغض النظر عن مستقبلها و خطورتها على اليهود أنفسهم ، و أثرهم على السلم العالمي .

هل بعد انهيار الكرملين ستنهار في العالم كل مؤثراته من دولة اليهود إلى الحزب إلى السجن السياسي و أجهزة القمع و مصادرة الأملاك و تأميمها و الحراسة عليها . و السي أي أيه أو نظرية الأمن القومي و الأمن الخارجي .. الخ .

لا شك أبدا أن العالم القديم ينهار من أمريكا إلى الاتحاد السوفيتي . و أن نظاما جديدا سيظهر نتيجة حتمية لهذه التفاعلات و ليس بتصميم مصمم أو بقرار سياسي . أو بالتهديد بالقوة .. سينهار حتما كل ما هو رسمي و يحل محله كل ما هو شعبي و هل ماتت الشيوعية حقا ..؟!

أقول : إن عصر الجماهير بدأ يفرض نفسه و هو يزحف حثيثا يلهب المشاعر ، و يبهر الأبصار ، و سيتحقق كل ما قيل في مقدمة هذا المقال و لكن الشيوعية لا نقول ماتت لأنها لم تولد بعد !! و علينا أن نتذكر ما قاله هتلر لأحد حلفائه : علينا أن ننتظر انتصارنا حتى و لو تأخر 360 عاما .

قلنا إن الشيوعية لم تولد بعد حتى يقال إنها ماتت و لكن الماركسية اللينينية هي التي انهارت بل سقطت في الحقيقة اللينينية الستالينية و لكن لماذا سقطت ؟ يقول أحد آيات الثورة الإسلامية في إيران سقطت بسبب الكفر بالله .. و الإلحادية و ليس لأي سبب آخر اقتصادي أو سياسي .

و هذا سبب برغم صعوبة تصديقه لكونه ميتافيزيقيا إلا أن استبعاده يعتبر نوعا من العسف. لا شك أن غوربتشوف نفسه كان أشد المناهضين لله و الداعين لنبذ الدين مع أن اعترف به الآن و قال بعظْمة لسانه في خطبة الوداع ((إن الله قد حبانا خيرات كثيرة لو أحسنا استغلالها)) . و غير خاف أن الماركسية هي التي قالت بأن الدين أفيون الشعوب ، و قالت: لا تقدم لمجتمع ديني أو مجتمع قبلي ، فالبحث العلمي لا يسمح به الدين و بالتالي يموت التقدم العلمي حتما في مجتمع ديني . و هذا شيء طبيعي حيث إن الدين قضية روحية و غيبية أساسها الإيمان بالغيب أما العلم فهو قضية مادية واقعية أساسها التجربة(يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا و هم عن الآخرة هم غافلون) و بالتالي لا يمكن التوفيق بين الاثنين الروح و المادة ، و الواقع و الغيب ، و الإيمان و التجربة ، فحتى ابن سينا تم تكفيره لأنه قال : إن الجبال و الوديان صنعتها عوامل التعرية و التصدعات الأرضية خلال عمر الأرض الماضي . و جاليليو حكمت الكنيسة بحرقه لأنه قال : الأرض كروية من الناحية الواقعية المادية المشاهدة . و هكذا حسمت الماركسية هذه المسألة لمصلحة حرية البحث العلمي دون النظر إلى الحلال و الحرام و ما بينهما ، فالطبيب عندما يصف دواء لمرض ما لا يقول هذا هو الدواء و لكنه حرام أو مكروه أو فيه قولان من الناحية الدينية أي دين .. فالأديان شتى ؟!

هذا شيء و هناك شيء آخر ذكرناه ضد الماركسية و هو أنها ورطت العالم في تقليعة التصفية الجسدية للطبقة المعادية و الاغتيالات السياسية للخصوم ، و السجن السياسي و البوليس السري ، و الأمن القومي و المحاكم الخاصة تقليد للثورة الفرنسية و هذا ربما يكون أحد أسباب سقوطها ، و للحقيقة فإن الماركسية تلميذ نجيب للبرجعاجية ، و الثورة الروسية عام 1917م ما هي إلا تلميذ للثورة الفرنسية التي وقعت عام 1789 م . و من الظلم و المغالطة أن تنسب التصفية الجسدية للطبقة المعادية للماركسية ، فالبرجعاجية الفرنسية هي التي ابتدعت هذا التقليد حيث صفت جسديا الطبقة الإقطاعية ، فلينين أو ستالين ما هما إلا تلميذان لروبسبير و دانتون ، و إليسار نسب خطأ للثورة الشيوعية ، فاليسار وليد الثورة الفرنسية .

فاليعاقبة المتطرفون الثوريون هم الذين جلسوا في اليسار صدفة في قاعة الجمعية الوطنية الفرنسية ، و السهليون المعتدلون جلسوا في اليمين صدفة من ذلك سمى الثوريون و المتطرفون باليساريين ، و سمِّى المعتدلون باليمنيين إذن اليسار و اليمين من مفردات قاموس الثورة الفرنسية و ليس الروسية ، أما اغتيال الخصوم فلم يبتدعه استالين باغتياله تروتسكي بل هذا تقليد روماني ، و اغتيال يوليوس قيصر يبرر الأمثلة على ذلك ، أما السجن السياسي بالإقطاع هو الذي بناه ، و التاريخ يسجل بأحرف من الدموع قصة الدكتور مانيت الذي نسى أسمه بعد خروجه من السجن و دخله طبيبا و خرج منه نجارا ، و الإقطاع أيضا قبل البرجعاجية شكل البوليس السري حتى أن ثوار فرنسا اضطروا أمام دقة البوليس السري الإقطاعي إلى كتابة قوائمهم بالطريزة و النقش على القماش خوفا من البوليس السري .

أما المحاكم الاستثائية و الثورية و الخاصة فهي أيضا من صنع الثورة الفرنسية التي ابتدأت بمحاكمة و إعدام الإمبراطور لويس السادس عشر و زوجته ماري انطوانيت ثوريا ثم طيلة عهد الإرهاب الذي قاده اليعاقبة .

و إن القطة التي أكلت أولادها ليس الثورة البلشفية بل قيل هذا المثل في الثورة الفرنسية التي انتهت بإعدام قادتها روبسبير و دانتون و سان جيست .

أما بدعة الأمن الخارجي و الأمن القومي و تشكيل أجهزة رسمية لذلك فلم تكن من طبيعة الثورة السوفياتية أبدا ، على العكس فالثورة السوفياتية عزلت نفسها عن العالم ، و أقامت حولها ستارا حديديا يحجبها عن العالم بل ليحجب العالم عنها بل هي من صنع الثورة الأمريكية ، و المخابرات الأمريكية هي التي تمارس هذا الاختصاص حتى الآن باسم حماية الأمن الخارجي و القومي للولايات المتحدة الأمريكية ، و الزحف الغوغائي على الخصوم هو أساس الثورة الفرنسية عندما بدأ الزحف على قصور الإقطاعيين . و اللون الأحمر ليس لون الثورة البلشفية بل هو لون الثورة الفرنسية أولا و تبنته الثورة الروسية..التاريخ الفرنسي يذكر أنه عندما مر ماركيز في أحد شوارع باريس بعربته المحملة ببراميل النبيذ المصنوعة من الزجاج ، و سقط أحدها على الطريق و تكسر و تدفق منه النبيذ الأحمر على الأرض ، و هب فقراء الشارع يمتصون النبيذ الأحمر على الأرض، و هب فقراء الشارع يمتصون النبيذ بواسطة خرق القماش من الشارع .. قام أحد الثوار السريين و غمس إصبعه في النبيذ الأحمر و كتب به على الحائط (دم) و انصرف .. وعرف العالم فيما بعد ما يعني ذلك .

أما إلغاء الدين فلم يكن من فلسفة الثورة الروسية هو الآخر بل هو فلسفة الثورة الفرنسية التي ألغت المسيحية رسميا ، استبدالها بعبادة الجمهورية و أرواح شهداء الحرية . و الثورة الروسية ألغت الدين

تقليدا للثورة الفرنسية في كل شيء .. نسختها حرفيا .. و قلدتها تفصيليا و لم تأت الثورة الروسية بجديد بالنسبة لتلك المساوىء أو المآسي أو المزايا . إذن ماذا تبقّى للثورة الروسية ما دام اليسار مستوردا من الثورة الفرنسية .. و كذلك المحاكم الثورية و السجن السياسي و الحبس الانفرادي و التصفية الجسدية .. و تصفية الطبقة و الجيش الشعبي و الجيش العقائدي و هو الجيش الذي شكلته الثورة الفرنسية لمواجهة اوروبا الملكية و حتى اللون الأحمر هو أيضا مستورد من الثورة الفرنسية .؟ إذن ما هي الثورة الشيوعية التي يقال إنها سقطت ؟.. و ما هو النظام اللينيني الماركسي الذي فشل ؟.. و ما هي الايديولوجية التي انتهت ؟ .. و ما هو الاتحاد السوفيتي ذاته الذي انهار ؟..

و ما هو السر الخطير وراء هذا السقوط المريع الكبير ؟ في الحقيقة ليس للثورة الروسية أي شيء .. كلها تقليد في تقليد و استيراد و محاكاة ، فهي مجرد انبهار بالثورة الفرنسية ، و قد عمل ثوار روسيا القيصرية على تطبيقها في بلادهم ـ فاللينينيةـ الماركسية أكذوبة قومية حتى لا يقال إن روسيا تلميذة فرنسا فليس ثمة لينينيةـ ماركسية إطلاقا بل هي روبسبيريةـ دانتونية أو فولتيريةـ روسوية .. و هي ليست ثورة بروليتاريا أبدا ، تلك أكذوبة تاريخية .. هي ثورة برجعاجية ضد الطبقة الإقطاعية تماما كما قامت البرجعاجية الفرنسية بالثورة على الإقطاع ، فروسيا القيصرية كانت امبراطورية إقطاعية بمعنى الكلمة . و قد أطاحت ثورة أكتوبر بتلك الإقطاعية الملكية و حولتها إلى جمهورية برجعاجية أنضوى تحت لوائها بطبيعة الحال كل من هو ليس إقطاعيا أي حتى الفقراء و أبناء الطبقة الوسطى.

تماما مثلما حولت الثورة الفرنسية فرنسا من مملكة إقطاعية إلى جمهورية برجعاجية و ليس ثمة ايديولوجية بل هي ثورة الطبقات الدنيا على الطبقة الإقطاعية ، وليس ثمة ثورة شيوعية حتى يقال إن الثورة الشيوعية سقطت .. الشيوعية لم تأت بعد ... و قد لا تأتي لأنها طوباوية خيالية مشروطة بوجود إنسان شيوعي و هذا شرط محال .

أما الاتحاد السوفيتي الذي انهار فهو الصراع القومي الذي ليس غريبا على التاريخ بل هو المحرك الأقوى للتاريخ ، و هو المشكّل أخيرا لخريطة العالم .. و سواء كان الاتحاد السوفيتي ماركسيا أو رأسماليا أو غير ذلك فإن الصراع القومي لا مفر منه .. و هذا ما كان.. و هو صراع حتمي في أي دولة مكونة من عدة قوميات من الهند إلى أمريكا إلى يوغسلافيا .

أما الذين كانوا يحكمون في أوروبا الشرقية و الاتحاد السوفيتي سابقا فهم الأحزاب البرجعاجية التي تحولت بمرور الزمن إلى طبقة ارستقراطية ، فلا غرابة فيما حصل فهو طبيعي و لكن أكثرهم لا يعلمون فقط .

إذن ما الذي تبقّى من هذه المصائب يمكن نسبه للماركسية حتى نقول إنه سبب سقوطها ؟.. ليس هناك إلا مصيبة واحدة باقية في قائمة المصائب السياسية و الاجتماعية تنسب بحق للثورة الماركسية و هي المسألة الاقتصادية ..

نعم كل ما يتعلق بالملكية ، و نزعها ، و مصادرتها ، و الحراسة عليها ، و التسعيرة ، و دعم السلع الأساسية و إلغاء قانون العرض و الطلب ، كل هذا من صنع الثورة البلشفية .

يا ترى هذا هو سر سقو لها ؟ ربما !! إذ إنه الآن و بعد إلغاء ما كان يسمى بالاشتراكية زادت أسعار السلع الأساسية عدة أضعاف في كل من جمهورية روسيا و أوكرانيا و كل دول شرق أوروبا و ظهرت طوابير المتسولين ، هذا ما تحقق من تغيير بعد اعتماد سياسة السوق .

دعوة ملحة لتشكيل حزب مرة أخرى

فرح المبلِسون .. و تصافح المطففون .. و ابتهج كل حلاف مهين .. مناع للخير معتد أثيم .. و معهم كل عتل زنيم .. و ظنوا أنهم غير مسئولين .. و أن المغفلين هم الخاسرون .. و لم ينتبهوا إلى أن الظن لا يغني من الحق شيئا .. و اعتقدوا أنهم ناجون بما يسلبون .. و أن الحق يبطل بالتقادم و خاضوا في يم الفساد مع الخائضين .. و اطمأنوا بما سرقوا و قالوا لن تقوم القيامة أبدا و كذبوا بيوم سداد الدّين .

من تحزب خان ((الفصل الأول من الكتاب الأخضر)) . إن الحزب المحرّم سياسيا هو أداة الحكم التي تمارس السلطة نيابة عن الشعب ، إذ أن الحزب هو حكم جزء للكل .. هذا هو بيت القصيد : حكم جزء للكل. ان هذه الجملة هي مبرر هذه الدعوة لتشكيل حزب .

نعم لأن الحزب هو حكم جزء للكل .. و تطبيقا للكتاب الأخضر من الضروري تشكيل حزب تحقيقا للديمقراطية الشعبية ، و لكي ننعتق نهائيا من كل أدوات الحكم الدكتاتورية التي تسلب الإمكانيات من الشعب ، و تفقد الجماهير كل فاعلية !! نعم من الضرورة الملحّة تشكيل حزب دون تأخير ، لأن الحزب يتكون إما من ذوي المصالح الواحدة .. و إما من ذوي الرؤية الواحدة .. أو الثقافة الواحدة .. أو المكان الواحد و العقيدة الواحدة !

هؤلاء يكونون الحزب لتحقيق مصالحهم .. الخ ، و لا يجوز ديمقراطيا أن يحكم أي من هؤلاء كل الشعب . الحزب هو الأقلية بالنسبة للشعب ، و ما دام الحزب أقلية بالنسبة للشعب ، إذن يجب تشكيل حزب للقضاء على تحكّم الأقلية في الشعب !!

ليس ثمة تناقض أبدا في هذا المنطق من الناحية السياسية و الثورية ، و لكنَّ هناك تناقضا صوريا فقط من حيث الألفاظ . و لكن نفهم هذه المفاجأة الشكلية .. و نصل إلى قناعة بأنه حتما من الضروري تكوين حزب تحقيقا للديمقراطية الشعبية المباشرة- علينا أن نطرح الواقع و نحلله .

الذي يحكم الآن حزب و ليس الشعب .. ليست المؤتمرات الشعبية !! إذن يجب سحق هذه الأداة ليست الشعب لكي يحكم الشعب .. لكن من هو الشعب ؟!! الشعب في النظرية الثورية تعبير برجعاجي

غامض مبهم لا يقل إبهاما عن عبارة ((الشعب سيد الجميع)) فمن هو الجميع الذي يكون الشعب سيده ؟!! و الصحيح ((الشعب هو السيد)) .

و لكن الآن نثير مشكلة معنى الشعب : الشعب هو ((كل المواطنين)) هذا هو التعريف الصحيح لكلمة الشعب . و من هنا يمكننا الوصول إلى الحقيقة .. إلى المشكل لنقوم بحله .

إن المواطنين الذين يشكل مجموعهم الشعب هم الفلاحون و العمال و التجار السابقون و الحاليون ، و السماسرة السابقون و الحاليون ! و تجار السوق السوداء و أرباب العمل السابقون و الحاليون ! و الطلاب و الموظفون و الضباط و أعضاء اللجان الطبية و أعضاء اللجان الشعبية !! و الباعة المتجولون ، و الزنادقة .. و المهربون ! و خطباء المساجد الأميون !! و موظفو الجوازات و معارفهم ، و رجال ـ و نساء ـ الجمارك و معارفهم و موظفو المطارات و الاستراحات الشرفية و معارفهم ، و الجنود الذين يتقاضون رواتب و الذين لا يتقاضون كلهم يشكلون الشعب . زائدا الذين يعالجون في الخارج ، و الذين لم يسمح لهم بالعلاج في الخارج ، لأسباب غير صحية !! و كذلك الذين مدت إليهم هواتف و الذين لم تمد لهم لعدم معرفتهم .

و الشعب يتكون كذلك من الذين يسافرون لمهام ، و الذين يسافرون دون مهام عدة مرات في السنة . و هذا التعريف للشعب لا يفرق بين الذين ينزلون في الخارج في فندق ريزيدينت او انتركونتينتال و الذين ينامون في مكاتب المكتب الشعبي حتى يؤدوا مهمتهم ثم يعودوا !

كل هذا الخليط يكوّن الشعب باستثناء الشغالات المغربيات و الحبشيات و الفلبينات ، حيث ((البيت يخدمه أهله)) ((و الطفل تربيه أمه)) و يشمل تعريف الشعب كذلك القيادات الثورية و السياسية و العسكرية و الإدارية و الفنية و أقاربهم و أصدقائهم .. و أصدقاء أصدقائهم و أصهارهم و من تبعهم بإحسان إلى يوم سداد الدّين !!

و التزاما بالنزاهة العلمية في تعريف كلمة شعب فإنه يشمل أيضا أساتذة الجامعات و الأطباء و المدرسين و سكان غوط الشعال و أبي سليم و الفلاح و سكان سرت و طبرق و الجوش و مزدة باستثناء طبعا شعب ((داوو)) لأنه من أصل كوري .. و شعب الممرضات و ممرضات العلاج الطبيعي لأنهن من أصل سلافي !!

إن هذا التعريف للشعب يشمل كل الذين تأتيهم حقائب ملابس ، و الذين لا تأتيهم !! و الذين لا يمرون على التفتيش و الذين يمرون ، فالمواطن هو المواطن سواء أتته سيارة من الخارج أم لم تأته ، و سواء له سائق خاص أم لا وفقا لمقولة ((السيارة لمن يقودها)) فأنت في الإحصاء مواطن و جزء

من الشعب سواء عندك حوض سباحة أو عندك ملاحة في الحمام !! و كذلك الذين يأتيهم الخياط إلى البيت و الذين يأتون إلى الخياط في البيت .

هذا معنى كلمة شعب ، كل مواطن من الذي يسكن في مشروع إدريس للإسكان في أبي سليم و الذي ما زال في خيمة في وادي بي إلى الذين يسكنون حي أبي نواس و كذلك الذين يذهبون إلى سويسرا بزوجاتهم ، و الذين يذهبون إلى زوجاتهم . المواطنة صفة لا علاقة لها بالزوجية أو العزوبية أو اللازوجية و اللاعزوبية !! لقد عرفنا الآن معنى الشعب ، و اتضح لنا أنه تعريف حقا برجعاجي لا يطمأن إليه فهو خليط من المتناقضات و المتعارضات و المتضاربات و المتوازيات . و لا شك أن الشعب بهذا التشريح يشمل شرائح معادية لبعضها بعضا،و عناصر متناحرة و فئات مضادة لبعضها بعضا اجتماعيا. إذن في داخل الشعب قوي عناصر استغلال و سرقة و احتكار و تعال و تسلط ومحسوبية و قبلية و رجعية و فساد .. بعد هذا التشريح لتعريف الشعب نعود لدعوتنا بضرورة تكوين حزب كيف ؟ الذي يحكم الآن تحت مظلة الديمقراطية الشعبية ليست الجماهير بقيام دولة الجماهير، بل الذي يحكم هو تحالف ـ ليس قوي الشعب العاملةـ إنما تحالف معاد لقوي الشعب العاملة ، إنه تحالف قذر لا يعرف أفراده بعضهم بعضا ، بل يعرفون أسلوب بعضهم بعضا و لم يجتمعوا في مكان و يعقدوا حلفا بينهم بل يتحالفون ضمنيا ، هذا هو الحزب الذي يحكم الآن . و لكن لا تخشوا هؤلاء الحلفاء تحسبهم جميعا و قلوبهم شتى .. فهم يكرهون بعضهم بعضا لأنهم يتنافسون في المراذل . لا مفر من تشكيل حزب ، إنه ليس حزبا لحكم الشعب ، بل هو عملية فرز الجماهير من الشعب . إنه ليس الحزب الجزء الذي يحكم الكل .. بل هو الكل لفرز الجزء ، إنه الجسم يتغلب على السرطان .

إنها عملية جريئة أخرى ، و قفزة نوعية ، و تحول ثوري جديد لخلق دولة الجماهير ، الجماهير فقط صاحبة المصلحة في الثورة و التي أكلت الطحالب حصتها و مص دراكولا دمها .

أيها المجهولون .. أيها الطيبون .. يا من لا تعرف من يمد لك خط الهاتف ، يا من لا تعرف من يسامحك في سداد رسوم الهاتف و الماء و الكهرباء و قرض المزرعة و المسكن .. يا من تسكن في ظل قصر مشيد في منزل قديم .. يا من لا تستطيع السفر إلى الخارج .. و لا تعرف من يرسلك إلى العلاج في الخارج .. يا من لا تعرف كيف تحصل على سيارة و لا من يقطع لك ـ و ليس على حسابك ـ تذكرة الطيارة .. أيها المواطن اللابرجعاجي أيها الكادحون ، أيها المنتجون العارقون .. أيتها الأرامل ، أيتها المطلقات خلافا للشريعة .. أيتها المغتصبات بالمال .. أيتها المقهورات الصامتات .. يا من لا صوت له .. و لا حول و لا قوة له .. يا من فارقتِ فلذة كبدكِ قهرا .. يا من غادرتِ بيتكِ جبرا ، يا من لا تعرفُ أحداً و لا يعرفك أحد .. أيها الجنود المرابطون في الجبهات ،

أيها الكناسون ((السياقات)) النظافات ، أيها المدرسون المخلصون ياكلّ من تتلطخ يده بالجير والقطران و بالغبار و الطّمى و الملح و دم الجراحة و القتال ، إلى كل ذي يد خشنة ((إن اليد الخشنة يحبها الله و رسوله)) .. يا من أجبرت على أن تكون سائقا لامرأة برجوازية عاطلة .. يا من أجبرت أن تكون سائقا لامرأة برجوازية عاطلة .. يا من أمرت بالركوب وحدك في الأمام .. يا من أمرت بغسل سيارة ثمينة بماء عذب فرات و تشرب في بيتك ملحا أجاجا .. يا من أمرت بشراء ما لذ وطاب و أنت في بيتك ينقصك حتى الشراب ، يا من تعرف أن السلطة لك و لكنك ساكت ، يا من تعرف أن الثورة من أجلك و لكنك صابر .. يا من تعرف أننا نحبك و لكنك غير قادر على الوصول إلينا ، يا من تحبنا و لكنك غير قادر على وصالنا .

يا راقدي الريح .. يا قليلي الوالي ، أيها المساكين ، هذا هو عصركم .. عصر الجماهير ، هذه ثورتكم الثورة الشعبية .. هذا طريقكم الطريق الأخضر قد فتح . هذا كتابكم الأخضر خذوه بقوة ، اقرءوا ما فيه مثنى و ثلاث و رباع ، إنها فرصتكم التاريخية أن تحكموا و تسودوا و أن تمشوا في الأرض مرحا .. و أن تخرقوا الأرض و أن تبلغوا الجبال طولا .. برغم نصيحة لقمان لابنه و هو يعظه . ذلك لقمان و ابنه أما هذا فهو الجماهير و عصرها ، ازحفوا إلى الأمام .. اضربوا الأرض بأقدامكم الحافية المشققة ، لقد خلقت لكم ،ارفعوا رؤوسكم إلى السماء فهي جميلة من أجلكم ، ارفعوا أصواتكم ، لم يعد هناك نبي حتى تغضوا أصواتكم عنده ، اجهروا بها أقوى ما يكون الجهر.. ماتت الآلهة التي كانت تخيفنا و تزوّر الوحدانية ، قتلناها يوم الفاتح العظيم ..و يوم خطاب زوارة التاريخي ، و في العيد السادس للثورة ، وفي ليلة الثلاثاء منتصف ابريل و في 6 من اكتوبر و 7 من اكتوبر و الفاتح 78 م .

أقسم لكم أن الآلهة ماتت .. و أنصاف الآلهة ماتت ، و الرسل ماتت . لقد شاهدنا موت خاتم النبيين ، و لم يبق إلا الله الذي تعالي علوا كبيرا و أنه رحمان رحيم و أنه لطيف ودود .

كل ذلك ينزع الرهبة من قلوبنا ، و يعزز حريتنا ، و يؤكد انفرادنا بالسلطة فوق أرضنا .. إذا وجدتم إلها فاقتلوه و اصلبوه .. و إذا وجدتم نبيا فارجموه و اقتلوه .. إنهم دجالون و كذابون.. لقد ماتت الآلهة و ماتت الرسل .. فلا تصدقوا إن قال لكم أحد : إنني إله أو نبي إنه مدع و دجال .. إنه مسيلمة أو سجاج ، الأرض ملك للجميع .. البيت لساكنه .. السيارة لمن يقودها... الذي ينتج يستهلك إنتاجه .. البيت يخدمه أهله .. الطفل تربيه أمه .. الجامعة لطلابها .. المدرسة لطلابها .. السلطة و الثروة و السلاح للجميع .. إليكم جميعا يوجه النداء ليبدأ الفرز لتصطف الجماهير على اليسار .. و ليقف خصومها على اليمين لتفصل بيننا المتاريس .

و حتى يبدأ العمل و الحسم و الحزم ، و حتى يقترن الكلام بالفعل اتجهوا أيها الأحباء إلى المثابات الثورية ، و سجلوا أسماءكم و عناوينكم .. ستجدون سجل العضوية مفتوحا لكم.أما أنتم أيها المنافقون يا من شوهتم كل زحف شعبي مقدس .. أيها المتلونون ، أيتها الحرباوات فلا تحاولوا هذه المرة أن تفعلوا كما فعلتم في الماضي لسبب واحد بسيط هو أننا الآن ((نعرفكم)) ، لو تقدم أحد منكم منا أو اختلط بنا كما تعودتم في الماضى وقبل أن نعرفكم فسوف نذيقه عذاب الهدهد و لنذبحه . أنتم أمامكم باب آخر و هو التقدم ، لا لتسجيل أسمائكم معنا ، بل لتسجيل ما في ذمتكم لنا .. و لكم أن تعترفوا أو لا تعترفوا فالحلال بينّ و الحرام بينّ .. لقد تبين الرشد من الغى ، دقت ساعة العمل مرة أخرى .

وقد أعذر من أنذر